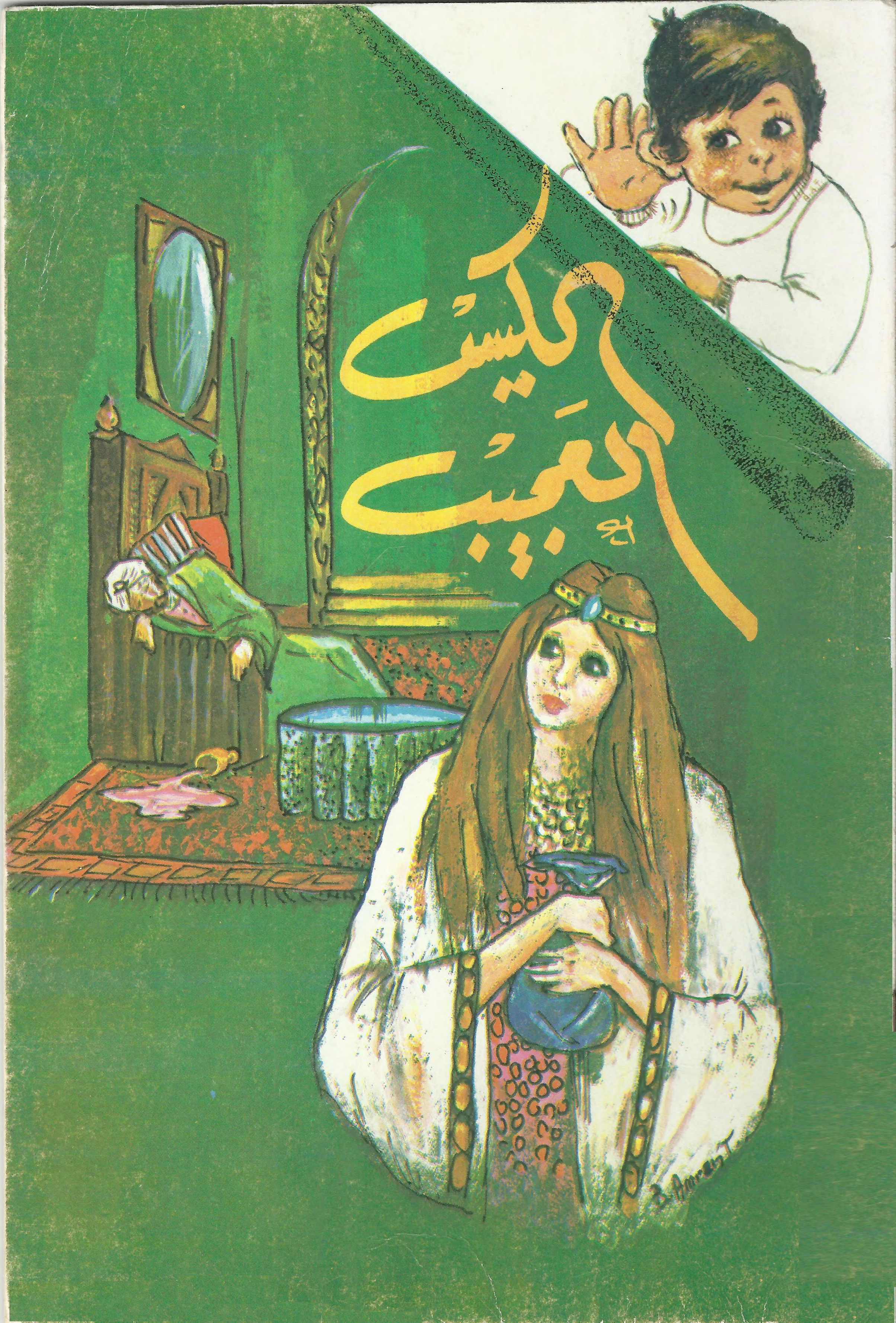

الكيس العجيب

القصص المدرسية

الكيس العجيب

تأليف

عبد الرحيم الكتاني و عبد الحق الكتاني

نشر : دار الثقافة - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الدار التونسية للنشر

طبع واخراج الدار التونسية للنشر

54 شارع الحرية تونس ـ الهاتف : 873 ـ 285 / 878 ـ 285

اشْتَهَرَ «الْحَاجُّ قَدُّور» في بَلَدِهِ بِالتَّقْوى وَالصَّلاحِ ، وَحُبِّ الْخَيْرِ وَالْعَمَلِ عَلى مُساعَدَةِ الْفُقَراءِ وَالْمُحْتاجِينَ .

لَمْ يَكُنْ مِنْ كِبارِ الأَغْنِياءِ في بَلَدِهِ ، وَلَكِنَّهُ كانَ مِنْ أَعْظَمِ الْكُرَماءِ ، وَكانَ يُؤْمِنُ بِالْمَثَلِ الْقائِلِ : « أَنْفِقْ ما في الْجَيْبِ ، يَأْتِكَ ما في الْغَيْبِ » . وَكانَ يُنْفِقُهُ طَبْعاً في أَعْمالِ الْبِرِّ وَالإِحْسانِ ، لا في غَيْرِهِ مِنَ الْمَيادِينِ الَّتِي لا تَعُودُ عَلى أَصْحابِها بِالْخَيْرِ .

وَالدَّلِيلُ عَلى ذٰلِكَ ، أَنَّهُ بَنى مَسْجِداً في قَرْيَتِهِ ، وَمَدْرَسَةً لِتَعْلِيمِ الفُقَراءِ ، وَأَوْقَفَ أُجْرَةَ حَمّامَيْنِ لِلنَّفَقَةِ عَلى الْمَسْجِدِ وَالْمَدْرَسَةِ . هٰذا مِنْ جِهَةٍ ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرى أَنْشَأَ داراً كَبِيرَةً مَفْرُوشَةً بِالْفِراشِ الْمُناسِبِ وَجَعَلَ يُزَوِّدُها بِالطَّعامِ وَالشَّرابِ ،

وَجعلَها خاصَّةً بِالْفُقَراءِ الْمحْتاجِينَ ، وَبعابِري السَّبيلِ ، الَّذينَ لا يَعْرِفونَ أَحَــداً في الْقَرْيَةِ ، وَهَكَذا كانَ خَيْرُهُ كَثيراً ، وَفَضْلُهُ عَميماً ، وَبِرُّهُ بالضُّعَفاءِ ظاهِراً .

كانَ « لِلْحَاجِّ قَدُّورٍ » وَلَدٌ واحِدٌ ، اهْتَمَّ بِتَرْبِيَتِهِ وَتَعْليمِهِ حَتّى صارَ مِنَ الرِّجالِ وَكانَ مُطيعاً لِأَبيـهِ خَجولاً . إِنَّ « الْحاجَّ قَدُّور » مَسْرُورٌ بِخُلُقِهِ الْبَارِّ ، وَكانَ يَقُولُ دائِماً : ما أَسْعَـدَ الَّذينَ لَهُمْ أَوْلادٌ كَثيرونَ ، بِشَرْطِ أَنْ يُرَبَّوْا تَرْبِيَةً حَسَنَةً ، وَيَكونوا مِنْ ذَوي الثَّقافاتِ الْعالِيَةِ : الطَّبيبِ والْمُهَنْدِسِ ، وَالأَديبِ ، وَالْفَيْلَسوفِ ، وَالشَّاعِرِ ، والأُسْتاذِ ، وَالْمُحامي ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ .

وَذاتَ يَوْمٍ مَرِضَ « الْحَاجّ قَدُّور » ، وَقَدْ أَصْبَحَ شَيْخاً يَتَجاوَزُ عُمْرُهُ تِسعينَ سَنَـةً ، وَأَرادَ أَنْ يُوصِيَ ابْنَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ فَدَعاهُ إِلى غُرْفَتِهِ وَقالَ لَهُ :

ـــ أَنتَ تَعْلَمُ يا وَلَدي أَحْمَدَ ، أَنَّ أَباكَ قَدْ كَبِرَ وَعُمِّرَ طَويلاً ، وَلِكُلِّ عُمْرٍ نِهايَةٌ ، وَهُـــوَ الْآنَ مُشْرِفٌ عَلى تِلْكَ النِّهايَةِ الْمَحْتُومَةِ ، وَأَرَدْتُ أَنْ أَنصحَكَ قَبْلَ وَفاتي لَعَلَّ ذٰلِكَ

يُفيدُكَ في حَياتِكَ ، وَيَجْعَلُ مِنْكَ الرَّجُلَ الصَّالِحَ في وَطَنِكَ . فاسْتَمِعْ جَيِّداً لِما أَقولُ :

ــ تَخَلَّقْ بِالْأَخْلاقِ الْحَسَنَةِ ، وَتَجَنَّبْ أَصْدِقاءَ السُّوءِ .

ــ حاوِلْ أَنْ تَكْسَبَ رِضاءَ اللهِ وَالنَّاسِ بِعَمَلِكَ وَسُلوكِكَ، ثُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَني كُنْتُ أُساعِدُ الضُّعَفاءَ كَثيراً ، وَهذا شَيْءٌ أُريدُ أَنْ تُحافِظَ عَلَيْهِ .

فَأَجابَهُ ابنُهُ مُنْدَهِشاً :

ــ وَلٰكِنَّكَ يا أَبي تَصَدَّقْتَ بِمُعْظَمِ ثَرْوَتِكَ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَخيراً أَنَّكَ أَوْقَفْتَ الضَّيْعَةَ الْكُبْرى لِفائِدَةِ المَسْجِدِ وَالْمَدْرَسَةِ ، فَماذا تَرَكْتَ لي ؟

فَأَجابَ الْوالِدُ الشَّيْخُ :

ــ لَقَدْ تَرَكْتُ لَكَ يا وَلَدي كُلَّ شَيْءٍ ، التَّرْبِيَةَ الْحَسَنَةَ وَالْعِلْمَ الَّذي لا يَفْنى ، ثُمَّ هَذا الْكيسَ الْعَجيبَ .

وَمَدَّ يَدَهُ إِلى الْوِسادَةِ ، وَأَخْرَجَ مِنْ تَحْتِها كيساً صَغيراً مُذَهَّباً يَسُرُّ النَّاظِرينَ ، وَقالَ لَهُ : خُذْهُ وَكُنْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَيْهِ .

قَلَّبَ الْوَلَدُ أَحْمَدُ ٱلْكِيسَ فِي يَدِهِ وَحاوَلَ أَنْ يَفْتَحَهُ ، وَيَعُدَّ دَنانِيرَهُ فَقَدْ تَعَجَّبَ مِنْ خِفَّتِهِ وَقِلَّةِ دَنانِيرِهِ الَّتِي سَتَكُونُ لَهُ عَوْناً فِي حَياتِهِ . وَقالَ فِي نَفْسِهِ : لَعَلَّ والِدِي المِسْكِينَ قَدْ أَشْرَفَ عَلى الْهَلاكِ جِدّاً ، وَهُوَ بِذَلِكَ لا يَعْرِفُ ما يَقُولُ .

لَكِنَّ الشَّيْخَ ٱلْكَرِيمَ أَنْقَذَهُ مِنْ مَوْقِفِهِ وَلَعَلَّهُ عَرَفَ ماذا يَجُولُ فِي خاطِرِ ابْنِهِ فَقالَ :

— لَيْسَ كُلُّ الْخَيْرِ فِي تِلْكَ الدَّنانِيرِ ٱلْقَلِيلَةِ ، يا وَلَدِي أَحْمَدَ ، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ وَٱلْكَنْزَ الَّذِي لا يَفْنى إِنَّما فِي ٱلْكِيسِ نَفْسِهِ ، فَما أَنْ تُفْرِغَهُ حَتَّى يَمْتَلِئَ مِنْ جَدِيدٍ ، بِشَرْطِ أَنْ تُنْفِقَ مالَهُ فِي ٱلْبِرِّ وَالْإِحْسانِ وَمُساعَدَةِ الضُّعَفاءِ .

تَعَجَّبَ أَحْمَدُ مِنْ سِرِّ أَبِيهِ وَكادَ يَطِيرُ مِنَ الدَّهْشَةِ وَالْمُفاجَأَةِ ، وَلَوْلا الْمَقامُ الَّذِي يَفْرِضُ الْحُزْنَ وَالْأَسَى عَلى والِدِهِ الطَّيِّبِ ، لَوَقَفَ يَرْقُصُ مِنَ ٱلْفَرَحِ وَالسُّرُورِ .

وَعَدَ الْاِبْنُ أَباهُ أَلَّا يُنْفِقَ الْأَمْوالَ فِي مَعْصِيَةٍ كَما ٱشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَبُوهُ لِئَلَّا يَضِيعَ ٱلْكِيسُ ، ثُمَّ أَنْ يُساعِدَ الضُّعَفاءَ بِاسْتِمْرارٍ .



الوالد على فراش الموت يقدم لولده الكيس العجيب

وَبَعْدَ أَنْ دعا لَهُ أَبُوهُ بِالتَّوْفِيقِ خَرجَ أَحْمَدُ مِنْ غُرْفَةِ أَبيهِ قَلِقاً مُضْطَرِباً .. هَلْ يَفْرَحُ بِالْكيسِ الْعَجيبِ؟ أَمْ يَبْكي لِفقْدانِ أَبيهِ بَعْدَ حينٍ؟

مَرَّتْ أَيَّامٌ قَلائِلُ .. وَماتَ الشَّيْخُ الْكَريمُ «الْحَاجُّ قَدُّورُ»، وَخَفَّ النَّاسُ لِلتَّعْزِيَةِ وَالْبُكاءِ. وَقَدْ حَضَرَ كَثيرٌ مِنْ سُكَّانِ الْبَلَدِ، وَكانُوا يَبْكُونَ في «الْحَاجِّ قَدُّورٍ» إِحْسانَهُ وَخَيْرَهُ الَّذي عَمَّهُمْ بِهِ. وَحَزِنَ الْوَلَدُ الْبارُّ لِذَلِكَ كَثيراً، وَتَأَثَّرَ لِبُكاءِ أَصْدِقاءِ أَبيهِ وَوَعَدَهُمْ بِالْخَيْرِ وَالْإِحْسانِ مِنْ بَعْدِهِ.

انْقَضَتْ أَيَّامُ الْحِدادِ وَالْحُزْنِ .. وَبَدَأَتْ أَيَّامُ النَّشاطِ وَالْعَمَلِ وَالاجْتِهادِ. وَلَمْ يَكُنْ أَحْمَدُ قَدْ أَخْبَرَ النَّاسَ بِكَنْزِهِ الْعَجيبِ .. فَجَلَسَ يَوْماً يُفَكِّرُ في أَمْرِهِ .. وَماذا يُمْكِنُهُ أَنْ يَصْنَعَ بِهٰذِهِ الثَّرْوَةِ الَّتي لا تَفْنى. وَأَخيراً قَرَّرَ أَنْ يَطوفَ في الْعالَمِ، وَيَطَّلِعَ عَلى عَجائِبِهِ وَغَرائِبِهِ .. ثُمَّ يَمْتَهِنَ ما يُعْجِبُهُ مِنَ المِهَنِ الْحُرَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ.

اِسْتَعَدَّ لِلسَّفَرِ الطَّويلِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجْمَعِ المَلابِسَ في الْحَقيبَةِ كَالْعادَةِ، لِأَنَّهُ فَكَّرَ أَنَّ بِإِمْكانِهِ أَنْ يَشْتَرِيَ مِنْ

لِباسِ كُلِّ بَلَدٍ يَصِلُ إِلَيْهِ .. ثُمَّ يَتَصَدَّقُ بِـهِ عَلى ٱلْفُقَراءِ فِي ٱلْأَخيرِ . لَكِنَّهُ ٱهْتَمَّ بِٱلْكيسِ ٱلْعَجيبِ فَقَطْ .

وَهَكَذا راحَ يَطوفُ فِي بُلْدانِ ٱلْعالَمِ كَيْفَ يَشاءُ .. وَيَقْصِدُ قُصُورَ ٱلْحُكّامِ وَٱلْمُلوكِ لِلتَّعارُفِ وَمُساعَدَةِ ٱلْفُقَراءِ وَتَقْديمِ ٱلْهَدايا ٱلْغالِيَةِ .. فَٱشْتَهَرَ أَمْرُهُ فِي كُلِّ مَكانٍ وَصارَ يُشارُ إِلَيْهِ بِٱلْبَنانِ .

وَبَيْنَما أَحْمَدُ يَتَجَوَّلُ يَوْماً في سُوقِ ٱلْمَدينَةِ ، بِزِيِّهِ ٱلْغَريبِ ، وَٱلْخَيْرُ بادٍ عَلى مَنْظَرِهِ ٱلْعامِ إِذْ أَبْصَرَتْهُ ٱبْنَةُ حاكِمِ ٱلْمَدينَةِ مِنْ نافِذَتِها . وَدَفَعَها ٱلْفُضولُ إِلى أَنْ تَعْرِفَ مَنْ هُوَ ، وَماذا يَفْعَلُ في هذا ٱلْبَلَدِ ، فَأَرْسَلَتْ في طَلَبِهِ .

وَلَمّا حَضَرَ بَيْنَ يَدَيِ السَّيِّدَةِ ٱلْمُعْجَبَةِ ، بَهَرَهُ ٱلْقَصْرُ وَٱلأَثاثُ ، وَكَثْرَةُ ٱلْخَدَمِ وَٱلْحَشَمِ ، وَٱعْتَبَرَها أَميرَةً مِنْ أَميراتِ ٱلْمُلوكِ ٱلْعِظامِ .

قالَتِ الأَميرَةُ ٱلْمُعْجَبَةُ :

ـ مَنْ أَنْتَ أَيُّها الشّابُّ ٱلْجَميلُ ، السّائِحُ ٱلْغَريبُ أَوِ التّاجِرُ ٱلْعَظيمُ ؟

ــ أنا أيّتها الأميرةُ العظيمةُ «أحمدُ ابنُ الحاجِّ قدُّورٍ»، سائحٌ يطوفُ الدُّنيا لِمعرفةِ عجائبِها وغرائبِ أصحابِها، وحياةِ أقوامِها ونظامِ سُكّانِها.

ــ أمرُكَ عجيبٌ يا سيِّدي! وكيفَ تستطيعُ أنْ تجوبَ الأقطارَ وتنتقِلُ في الأمصارِ على مرِّ الأيّامِ، دونَ أنْ تشتغِلَ لتعيشَ، فهلْ لكَ ثروةٌ سحريّةٌ لا تنفدُ كي تحقِّقَ أملكَ الكبيرَ؟ وأخذتِ الأميرةُ تستدرِجُ «أحمدَ» لِمعرفةِ سرِّهِ، بكثيرٍ مِنَ الحِيَلِ والأسئلةِ، حتّى أخبرَها بسرِّهِ، وهوَ موقِنٌ مِنْ نُبْلِ الأميرةِ، وغِناها وترفُّعِها عنِ الطّمعِ والحسدِ والمكرِ.

ولكنَّ فضولَ تلكَ الأميرةِ لمْ يقِفْ عِنْدَ هذا الحدِّ، فطلبتْ مِنْ أحمدَ أنْ ترى الكيسَ قائلةً:

ــ ما أحوجَني إلى رؤيةِ هذا الكيسِ العجيبِ الّذي يشتمِلُ على كنوزِ سيِّدِنا سُليمانَ، وما أغربَ الشُّروطَ المطلوبةَ لِاستمرارِ نشاطِهِ وإنتاجِه.

ــ هذا شيْءٌ بسيطٌ يا سيِّدتي الأميرةَ، ثُمَّ أدخلَ أحمدُ يدَهُ في جيبِهِ وأخرجَ كيساً عاديّاً فيهِ بعضُ الدّنانيرِ فقطْ.



أحمد يتصدق على الفقراء في كل بلد يصل اليه

ما كانَ أَعْظَمَ دَهْشَةَ الأَميرَةِ بِهٰذا ٱلْكِيسِ ٱلْبَسيطِ .

وَطَمِعَتْ في أنْ تَمْلِكَهُ مَهْما كَلَّفَها ذٰلِكَ مِنْ مُغامَراتٍ وَأتْعابٍ ، وَلَوْ بِالقَضاءِ على صاحِبِهِ أَحْمَدَ .

كانَتِ الأَميرَةُ قَدْ أَمَرَتْ بِإِعْدادِ الشّاي لِلضَّيْفِ الكَريمِ ، وَفي ٱلْحينِ قامَتْ بِقَصْدِ اسْتِعْجالِ إِحْضارِ الشّاي وَمُعاتَبَةِ ٱلْوَصيفاتِ عَلى التَّأْخيرِ ، وَلٰكِنَّها في ٱلْواقِعِ ، قَصَدَتْ إِلى وَضْعِ قَليلٍ مِنَ ٱلْبَنْجِ المُنَوِّمِ في كَأْسِ أَحْمَدَ الَّذي عَيَّنَتْهُ .

وَما إِنْ عادَتْ إِلى مَكانِها قُرْبَ أَحْمَدَ لِتُواصِلَ الإِعْجابَ وَالانْدِهاشَ مِنْ كيسِهِ ٱلْعَجيبِ ، وَهِيَ تَطْمَعُ في الْحُصولِ عَلَيْهِ ، حَتّى حَضَرَ الشّايُ ، وَأَخَذَ أَحْمَدُ ٱلْكَأْسَ المُعَيَّنَةَ ، وَما هِيَ إِلاّ لَحَظاتٌ حَتّى غابَ في نَوْمٍ عَميقٍ جِدًّا .

وَفي ٱلْيَوْمِ التّالي فَتَحَ عَيْنَيْهِ لِيَجِدَ نَفْسَهُ مُلْقىً عَلى التِّبْنِ في حَقْلٍ مَهْجورٍ .. وَٱلْكِلابُ تَنْبَحُ مِنْ حَوْلِهِ بَعيدَةً .. فَأَسْرَعَ إِلى جَيْبِهِ مُتَفَقِّداً كَنْزَهُ الثَّمينَ .. وَلَمّا لَمْ يَجِدْهُ ، تَأَكَّدَ مِنْ غَدْرِ الأَميرَةِ الطّامِعَةِ .. فَجَعَلَ يَلومُ نَفْسَهُ نادِماً

عَلى ما صَدَرَ مِنْــهُ مِنْ إِفْشاءِ سِرِّهِ ٱلْعَجيبِ . وَصارَ يَبْكِي حُزْناً عَلى ما أَصابَهُ لَوْلا أَنَّهُ رَأى دُخاناً يَتَصاعَدُ مِنْ حَوْلِهِ كالْعِمْلاقِ .

وَبَيْنَما هُوَ مُعْجَبٌ وَمُنْدَهِشٌ وَخائِفٌ مِنْ ذَلِكَ الدُّخانِ الْمُفاجِئِ .. إِذْ تَحَوَّلَ ذَلِكَ الدُّخانُ إِلى إِنْسانٍ كامِلٍ فَجْأَةً .. وَقالَ بِصَوْتٍ عَجيبٍ :

ـــ «شَبَّيْك لِبَّيْك» كُلُّ ما تُريدُ بَيْنَ يَدَيْك .. هَذا رِداءٌ عَجيبٌ .. مَتى تَضَعْهُ عَلى كَتِفَيْكَ تَصِلْ إِلى ما تُريدُ مِنْ قُوَّةٍ وَسُلْطانٍ .

تَذَكَّرَ بِسُرْعَةٍ ما جَرى لَهُ مَعَ الأَميرَةِ .. وَفَكَّرَ في الانْتِقامِ مِنْها بِما يَمْلِكُهُ مِنْ وَسائِلَ ، فَأَخَذَ الرِّداءَ وَوَضَعَهُ عَلى كَتِفَيْهِ وَقالَ لِلْعِفْريتِ ٱلْعِمْلاقِ : أُريدُ جُنوداً مُسْلِمِــينَ لِلْقَضاءِ عَلى خَصْمٍ شَديدٍ ، فَغابَ ٱلْعِمْلاقُ .. وَحَضَرَ الْجُنودُ الْمُدَجَّجونَ بِأَنْواعِ السِّلاحِ ٱلْفَتّاكِ . وَاتَّجَهَ أَحْمَدُ نَحْوَ الْمَدينَةِ لِمُقاتَلَةِ الأَميرَةِ وَالْحاكِمِ وَخَلْفَهُ جُنودُهُ السِّحْرِيُّونَ .

عَلِمَ الْحَـاكِمُ بِذَلِكَ وَأَخْبَرَ ابْنَتَـــهُ ، فَطَمْأَنَتْهُ قَائِلَةً : لا تَخَفْ يا أَبَتِي ، سَوْفَ أَكْفِيكَ شَرَّهُمْ جَميعاً .. وَنَظَـرَتْ فَإِذا أَحْمَدُ يَحْمِلُ رِداءً جَميلاً عَلى كَتِفَيْهِ .. وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ يَمْلِكُهُ . فَعَلِمَتْ أَنَّ السِّرَّ كُلَّهُ يَكْمُنُ في الـــرِّداءِ . فَجَمَعَتْ وَصيفاتِها وَخُدَّامَها .. وَلَبِسوا أَحْسَنَ اللِّبـــاسِ .. وَخَرَجُوا لِلِقاءِ الْجُنودِ ٱلْمُسْلِمينَ . فَتَعَجَّبَ أَحْمَدُ مِنْ هَـــذِهِ ٱلْعَمَلِيَّةِ الْمُضْحِكَةِ .. كَيْفَ يُقابِلُ الْجُنودَ فَتَياتٌ جَميلاتٌ بِزِيِّهِنَّ الرّائِعِ ؟ وَأَدْرَكَ أَنَّها مَكيدَةٌ لا رَيْبَ ، فَقَرَّرَ أَلاَّ يَحْتَرِمَ ٱلْفَتَيَاتِ اللاّئي جِئْنَ لاسْتِقْبالِهِ .. وَلَكِنْ بَيْنَما هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَتْ فَتاةٌ رائِعَةُ الْحُسْنِ ، عَلى جَوادٍ أَصيلٍ ، وَخاطَبَتْهُ قَائِلَةً :

ــ سَيِّدي أَحْمَدَ .. إِنَّ مَوْلاتي تُبْلِغُكَ السَّلامَ مُعْجَبَـةً بِقُوَّتِكَ وَجَيْشِكَ ٱلْعَظيمِ .. وَتَدْعوكَ لِزِيارَتِها في ٱلْقَصْرِ حالاً . إِنَّها تُسالِمُكَ أَوَّلاً ، وَتَسْمَحُ لِجُنودِكَ الْأَبْطالِ أَنْ يَبْقَوْا حَوْلَ ٱلْقَصْرِ .

تَرَدَّدَ أَحْمَدُ قَليلاً في أَمْـــرِهِ . ثُمَّ عَزَمَ عَلى الاتِّصالِ بِالْأَميرَةِ ، وَهُوَ لا يُريدُ إِلا كيسَهُ ٱلْعَجيبَ . فَأَمَرَ الْجُنودَ



ابنة الحاكم تفكر في كيفية الحصول على الكيس العجيب

أنْ يَبْقَوْا حَوْلَ ٱلْقَصْرِ عَلى اسْتِعْدادٍ لِلطّوارِىءِ .. ثُمَّ انْدَفَعَ نَحْوَ بابِ ٱلْقَصْرِ .

فَرِحَت الْأَميرَةُ الدّاهِيَةُ بِنَجاحِ الْحيلَةِ .. وَأوْصَتْ وَصيفَتَها الْأُولى أَنْ تَخْطَفَ الرِّداءَ بِمُجَرَّدِ انْشِغالِ «أحْمَدَ» بِالْكَلامِ مَعَ الْأَميرَةِ .. وَأنْ تَحْمِلَهُ في الْحالِ إلى الْأَميرَةِ وَتَضَعَهُ عَلى كَتِفَيْها .

ما إنْ دَخَلَ أَحْمَدُ ٱلْقَصْرَ وَمَثُلَ أَمامَ الْأَميرَةِ ، حَتَّى بادَرَتْهُ بِالْكَلامِ الْمَعْسولِ قائِلَةً :

— عَجَباً يا سَيِّدي ، غادَرْتَنا بِسُرْعَةٍ ، وَعُدْتَ إلَيْنا بِجُيوشٍ هائِلَةٍ ، لا قِبَلَ لَنا بِها ، فَهَلْ تُريدُ يا سَيِّدي أَنْ تَدُكَّ هٰذِهِ الْمَدينَةَ ؟ إنَّنا لا نَذْكُرُ سوءًا تَحَمَّلْتَهُ مِنْ أجْلِنا .

وَفي خِفَّةٍ خَطَفَتِ الْجارِيَةُ الْحَسْناءُ الرِّداءَ ، وَوَضَعَتْهُ عَلى كَتِفِ الْأَميرَةِ ، فَأَصْبَحَ كُلُّ الْجُنْدِ تَحْتَ أَمْرِها .

ثُمَّ واصَلَتِ الْأَميرَةُ الْحَديثَ قائِلَةً :

— إلَيْكُمْ عَنّا أَيُّها الْجُنودُ ، وَعُدْ يا أَحْمَدُ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتَ ، وَإلاّ كانَ ٱلْيَوْمُ آخِرَ يَوْمٍ في حَياتِكَ .

غابَ الْجُنودُ بِسُرْعَةٍ عَجيبَةٍ ، وَانْدَهَشَ أَحْمَدُ مِنْ هذِهِ الْمُفاجَأَةِ ، الَّتي كادَتْ تُودي بِحَياتِهِ ، وَأَخَذَ يَبْكي مِنْ مَكْرِ الأَميرَةِ الْمُحْتالَةِ ، وَيَعَضُّ إِصْبَعَ النَّدَمِ عَلى غَفْلَتِهِ وَبَلادَتِهِ .
وَقَرَّرَ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيْها الْقَضاءَ الْمُبْرَمَ وَأَلاّ يَنْخَدِعَ مَرَّةً أُخْرى بِالْكَلامِ الْمَعْسولِ ، وَتَذَكَّرَ فَجْأَةً قَوْلَ الشّاعِرِ :

إِذا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بارِزَةً   فَلا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ

وَابْتَعَدَ عَنِ الْقَصْرِ كَثيراً ، وَهُوَ لا يَدْري أَيَّ اتِّجاهٍ يَقْصِدُ ؟ وَأَيْنَ يَقِفُ ؟ ماذا يَأْكُلُ وَأَيْنَ يَنامُ ؟ فَقَدْ أَصْبَحَ مُجَرَّداً مِنْ كُلِّ سِلاحٍ ، فَقيراً لا يَمْلِكُ شَيْئاً . ثُمَّ وَصَلَ إِلى غابَةٍ فَاتَّكَأَ عَلى شَجَرَةٍ ظَليلَةٍ وَنام .

رأى أَحْمَدُ أَحْلاماً مُزْعِجَةً فَاسْتَيْقَظَ مَذْعوراً .. وَانْتَبَهَ فَإِذا فَوْقَ رَأْسِهِ أَغْصانٌ مُثْقَلَةٌ بِتُفّاحٍ كَبيرِ الْحَجْمِ رائِعِ الْمَنْظَرِ .. فَقَفَزَ إِلى التُّفّاحِ لِيُشْبِعَ بَطْنَهُ الْجائِعَ . وَأَعْجَبَهُ الْأَحْمَرُ مِنْهُ خاصَّةً .. وَكانَ لَذيذاً .. فَأَكَلَ بِدونِ حَدٍّ .

وَجَلَسَ مَرَّةً أُخْرى لِلرّاحَةِ .. وَأَخَذَ يُفَكِّرُ في حالِهِ .. وَيَتَأَسَّفُ عَلى كيسِهِ .. فَإِذا أَنْفُهُ يَطولُ .. وَإِذا هُوَ يَمْنَعُهُ

بِيَدِهِ فَلاَ يَسْتَطِيعُ . وَوَقَفَ حيْرانَ فِي أَمْرِهِ . ثُمَّ أَخذَ يَبْكِي وَيَصِيحُ : وَيْلاهُ .. ما هَذِهِ ٱلْفظَاعَةُ .. ثُمَّ لِمَ يَطولُ أنْفي هَكَذا بِدونِ سَبَبٍ . وَبَغْتَةً ظَهرَ ذَلِكَ النّورُ المَعْهُودُ .. أَوِ الدُّخانُ ٱلْعَجِيبُ ، الذي سَرْعَانَ مَا يَتحَوَّلُ إلى إِنْسانٍ .. فَوَقَفَ أَمَامَهُ قَائِلاً :

ـ «شِبَّيك لِبَّيك».. كُلُّ ما تَطْلُبُ بَيْنَ يدَيْك .

ـ هَذا أَنْفي يَطولُ بِشَكْلٍ بَشِعٍ .. وَأَنَا لا أَعْرِفُ السَّبَبَ وَلا أَسْتَطيعُ رَدَّهُ .

ـ إِنَّكَ أَكَلْتَ التُّفاحَ الْأَحْمَرَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ يا سَيِّدي وَوَجَدْتَهُ لَذِيــذاً كالسُّمِّ فِي ٱلْعَسَلِ .. وكانَ عَلَيْكَ أنْ تَأْكُلَ الْأَخْضَرَ كَذَلِكَ ، فَهُوَ الَّذي يَشْفيكَ حالاً .

ـ عَجَباً .. وَمدَّ أَحْمَدُ يَدَهُ إِلى تُفَّاحَةٍ خَضْراءَ وَتَناوَلَها بِسُرْعَةٍ .. فَإِذا أَنْفُهُ يَعودُ إِلى حالَتِهِ الطَّبيعِيَّةِ الْأُولى .

فَقالَ لَهُ ٱلْعِفْريتُ :

ـ ها أَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ السِّرَّ .. فَلْيَكُنْ ذَلِكَ كُلُّهُ سِلاحاً لَكَ لِلتَّغَلُّبِ عَلى تِلْكَ الْأَميرَةِ الماكِرَةِ .. إِنَّني أَعْرِفُ



قِصَّتَكَ كُلَّها مَعَها ، وَإِنِّي أُساعِدُكَ إِكْراماً لِأَبيكَ الَّـذي كانَ مُحْسِناً ، وَكانَ طَيِّبَ الْقَلْبِ كَريماً ، وَلَمْ يُضَيِّعِ الْخَيْرَ الَّذي كانَ بَيْنَ يَدَيْهِ .

وَهكَذا أَوْحى الْعِفْريتُ لِأَحْمَدَ بِطَريقَةِ الانْتِقــامِ مِنَ الأَميرَةِ الماكِرَةِ ، فَدَبَّرَ حيلَةً رائِعَةً وَقامَ لِتَنْفيذِها في الْحالِ .

لَبِسَ أَحْمَدُ مَلابِسَ فَلّاحٍ ، وَوَضَعَ لِحْيَةً مُزَيَّفَةً ، وَغَيَّرَ شَكْلَهُ تَغْييراً لا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ ، وَاتَّجَهَ إِلى قَصْرِ الْحاكِمِ يَحْمِلُ سَلَّةً مِنَ التُّفاحِ الْعَجيبِ هَدِيَّةً مِنْهُ إِلى الأَميرَةِ ، بِاعْتِبـارِ أَنَّ التُّفّاحَ فاكِهَةٌ نادِرَةٌ بِذلِكَ الْبَلَدِ . وَوَقَفَ بِبابِ الْقَصْرِ ،وَاسْتَأْذَنَ في الدُّخولِ ، وَرَحَّبَ بِهِ الْحاكِمُ وَالأَميرَةُ ، وَهُما يَجْهَلانِ أَنَّهُ أَحْمَدُ المِسْكينُ ، صاحِبُ الْكيسِ الْعَجيبِ ، وَقَدَّمَ الْهَدِيَّةَ بِتَواضُعٍ وَانْصَرَفَ .

وَما هِيَ إِلّا ساعَةٌ حَتّى كانَ أَنْفُ الأَميرَةِ الطَّويلُ مَوْضوعَ كَثيرٍ مِنَ الْقِصَصِ وَالْخُرافاتِ ، وَحَديثَ النّـاسِ جَميعاً وَمَنْ حَوْلَها ضَحَكاتٌ مَكْتومَةٌ ، وَقَهْقَهاتٌ بَعيدَةٌ .

فَأَمّا الْحاكِمُ ، فَقَدْ أُسْقِطَ في يَدِهِ ، وَلَمْ يَدْرِ ماذا يَفْعَلُ . وَأَمّا الأَميرَةُ ، فَقَدْ أَجْهَشَتْ في الْبُكاءِ وَنَدِمَتْ على فَعْلَتِهـا ،

وَاقْسَمَتْ أَلا تَأْكُلَ فاكِهَةً بَعْدَ اليَوْمِ ، وَخَجِلَتْ مِنْ خُدّامِها وَوَصيفاتِها ، فَأَبْعَدَتْهُنَّ عَنْها ، وَجَلَسَتْ وَحْدَها كَالْمَريضِ بِالْجُذام .

وَفي الْحينِ تَسابَقَ الأَطِبّاءُ إلى الْقَصْرِ عَلَّهُمْ يَحْظَوْنَ بِرِضاءِ الْحاكِمِ ، وَمَحَبَّةِ الأَميرَةِ ، وَفَشِلوا جَميعاً في كُلِّ مُحاوَلاتِهِمْ ، وَتَعَجَّبوا مِنْ قِصَّةِ الأَميرَةِ ، وَمِنْ أَنْفِها السِّحْرِيِّ ، وَوَبَّخَهُمُ الْحاكِمُ جَميعاً ، وَسَخِطَ عَلَيْهِمْ ، لِعَجْزِهِمُ التّامِّ أَمامَ هذِهِ الْمُصيبَةِ الَّتي حَلَّتْ بِالأَميرَةِ الْوَحيدَةِ . وَكَثُرَ لَغَطُ النّاسِ جَميعاً في الْمَوْضوعِ ، وَأَشْفَقوا عَلى الأَميرَةِ ، وَلَمْ يَخْطُرْ بِبالِ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّ أَحْمَدَ هُوَ الَّذي تَسَبَّبَ في كُلِّ ذلِكَ .

ثُمَّ جاءَ دَوْرُ أَحْمَدَ ، بَعْدَما تَفَرَّجَ عَلى فَضيحَةِ الأَميرَةِ الْماكِرَةِ ، فَلَبِسَ لِباسَ الأَطِبّاءِ ، وَتَزَيَّنَ بِشَكْلٍ أَنيقٍ وَادَّعى أَنَّهُ طَبيبُ الْعاهاتِ ، وَأَعْلَنَ أَنَّهُ مِنْ بِلادٍ بَعيدَةٍ ، جاءَهُ خَبَرُ ظُهورِ بَعْضِ الْعاهاتِ في هذا الْبَلَدِ ، فَخَفَّ لِلْعِلاجِ بِسُرْعَةٍ ، لإِرْضاءِ الضَّميرِ الْمِهْنِيِّ ، وَلِلرِّفْقِ بِبَني الإِنْسانِ ، وَلَوْ كانوا أَعْداءَ أَو أَجانِبَ .

إِسْتُقْبِلَ بِكَثيرٍ مِنَ التَّرْحابِ وَالإِكْرامِ ، وَلا أَحَدَ

يَعْرِفُ سِرَّهُ ، وَمَعَهُ تُفاحاتٌ خَضْراءُ . فَعُرِضَ عَلَيْـــهِ أَمْرُ الأَميرَةِ ، وَما أَصابَها مِنْ جَراءِ التُّفاحِ السِّحْرِيِّ ، فَاشْتَرَطَ أَنْ يَفْحَصَ الأَميرَةَ عَشْرَةَ أَيامٍ ، وَأَلاَّ تَأْكُلَ اللَّحْمَ وَالدَّجاجَ وَالطَّعامَ الرَّفيعَ ، مُدَّعِياً أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ يُساعِدُ عَلى مَعْرِفَةِ الحَقيقَةِ .

وَالْواقِعُ أَنَّهُ كانَ يُريدُ أَنْ تَعيشَ عيشَةَ الْفُقَراءِ الْمُحْتاجينَ وَلَوْ مُدَّةَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ فَقَطْ ، بَيْنَما يَتَمَتَّعُ هُوَ خِلالَ تِلْكَ الْمُدَّةِ بِكُلِّ أَنْواعِ الطَّعامِ الرَّفيعَةِ .

ثُمَّ زادَ فَاشْتَرَطَ التَّصَدُّقَ عَلى مِائَةِ مِسْكينٍ يَوْمِيًّا ، فَانْتَفَعَ النَّاسُ بِذَلِكَ كَثيراً . وَبَقِيَ يَشْتَرِطُ وَيُعَذِّبُ الأَميرَةَ ، وَهِيَ لا تُبالي ، بِشَرْطِ أَنْ يَعودَ أَنْفُهـا إِلى الْحالَةِ الطَّبيعِيَّـةِ . وَما كادَتْ تَنْتَهي الْعَشْرَةُ الأَيَّامُ ، حَتَّى قالَ لَها :

— لَقَدْ تَكَشَّفَ لي مِنْ خِلالِ فَحْصِكَ الْمُسْتَمِرِّ ، أَنَّكَ غَدَرْتِ بِأَحَدِ النَّاسِ ، وَاسْتَوْلَيْتِ عَلى رِزْقِهِ أَوْ مالِهِ أَوْ سُمْعَتِهِ وَعَذَّبْتِهِ كَثيراً ، فَانْتَقَمَ اللهُ مِنْكِ وَآلَتِ الْجِنُّ عَلى تَعْذيبِكِ إِنْ أَنْتِ أَصْرَرْتِ عَلى عَمَلِكِ فَهَلْ هذا حَقيقَةٌ أَمْ لا ؟

أَخَذَتِ الأَميرَةُ تَبْكي وَتَسْتَغيثُ بِالطَّبيبِ قائِلَةً :

ـ سَيِّدي الْحَكيمَ الْعَظيمَ ، إِنَّكَ قَـدْ عرفْتَ سِرّي ، وما بَقِيَ لي إِلاّ أَنْ أَعْتَرِفَ لَكَ بِالْحَقيقَةِ .

ثُمَّ حكَتْ لَهُ قِصَّتَها مع السَّيِّدِ أَحْمَد ، وَهِيَ لا تعْرِفُهُ ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : وَإِنّي على اسْتِعْدادٍ لأُقَدِّمَ لَهُ الْكيسَ الْعَجيبَ وَالرِّداءَ السِّحْرِيَّ ، الَّذي لَمْ أَنْتَفِعْ بِهِ ، فَهَلْ هذا كافٍ لِشِفائي ؟

ـ نَعَمْ أَيَّتُها الأَميرَةُ الْحَسْناءُ ، فَأَيْنَ ذلِكَ ؟

وَفي الْحِينِ حَضَرَ الْكيسُ الْعَجيبُ وَالرِّداءُ السِّحْـرِيُّ ، فَقَلَّبَ ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِيَتَحَقَّقَ مِنْهُما ، وقال :

ـ تَناوَلي سَيِّدَتي الأَميرَةَ هذِهِ التُّفّاحاتِ الْخَضْراءَ وسَوْفَ تَرَيْنَ حالاً ما يُعْجِبُكِ .

وَبَيْنَما كانَتِ الأَميرَةُ تَتَناوَلُ التُّفّاحَ ، كانَ أَحْمَدُ يَلْبَسُ الرِّداءَ وَيَضَعُ الْكيسَ في جَيْبِهِ .

وَبَغْتَةً صاحَتِ الأَميرَةُ : الْحَمْدُ لِلّهِ ، هُوَذا أَنْفي قَدْ عادَ إِلى حالِهِ .. أَشْكُرُكَ أَيُّها الطَّبيبُ .

ثُمَّ قالَ أَحْمَدُ : الْحَمْدُ لِلّهِ ، هُوَذا كيسي قَدْ عادَ إِلى مَكانِهِ أَشْكُرُكِ أَيَّتُها الأَميرَةُ .

وَفوجِئَ الْجَميـعُ ، عِنْدَما نَزَعَ أَحْمَدُ زِيَّ الطَّبيبِ ،

وَظَهَرَ فِي شَكْلِهِ الْحَقِيقِيِّ ، إِنَّهُ أَحْمَدُ ابْنُ « الْحَاجِّ قَدُّورٍ » الرَّجُلُ الْغَرِيبُ فِي الْبَلَدِ .

وَلَمَّا عَرَفَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِهِ ، وَاطَّلَعَ عَلَى سِرِّهِ ، عَرَضَ عَلَيْهِ الزَّوَاجَ بِابْنَتِهِ إِكْرَاماً لَهُ عَلَى مُعَالَجَتِهَا وَعَدَمِ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهَا بِاسْتِمْرَارٍ ، فَقَبِلَ أَحْمَدُ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ مِنَ الابْتِهَاجِ وَالْفَرَحِ وَقَدَّمَ أَنْوَاعاً مِنَ الْهَدَايَا الَّتِي لَمْ تَرَهَا الْأَمِيرَةُ قَطْ ، وَتَزَوَّجَهَا عَلَى السُّنَّةِ وَالْكِتَابِ ، وَعَاشَا عِيشَةَ الاسْتِقْرَارِ وَلَمْ يَنْسَ مُسَاعَدَةَ الضُّعَفَاءِ ، وَإِكْرَامَ الْمُحْتَاجِينَ لِيَبْقَى لَهُ الْكِيسُ نَافِعاً مُنْتِجاً .

انتهت

القصص المدرسية

- الهميان المفقود
- الإخوة الثلاثة
- الأميرة المخلوعة
- مغامرات ذكي
- الأميرة في القصر المسحور
- التاجر والعفريت
- الأخلاق الفاضلة
- شرفنطح البليد
- الفرحة الكبرى
- عجائب السندباد
- الكيس العجيب
- الحطاب الطموح
- الرّبوة السّعيدة

نشر: دار الثقافة - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الدار التونسية للنشر